أَخْفِ الحدائقَ في عروقك

زكي الأسطة

أَطْبِقْ يديكَ على سريرتِها،
وغُضَّ الصيْفَ
عن أوصالكَ الشعثاءَ،
ثمَّةَ ظبيةٌ
خَلَعَتْ مخابئَها
على مرأى من النسيانِ،
ثمّةَ وردةٌ
ألقتْ عباءَتَها على روحي
لأنسى
حشرجاتِ البرقِ
أَوْ لَسْعَ الدُّوَارْ...

ما عادتِ الناياتُ تركضُ
شبهَ حافيةٍ
لتُسْدِيَ للقذائفِ قُبْلَةً،
كَمْ شاخَ هذا الومضُ!..
كم وَخَطَ القرنفلُ نَفْسَهُ
بجَفافِهِ!..
بَلْ كم تراخى الرَّعْدُ
عن قَسَمَاتِهِ
حتى اسْتَتَبَّ الطَّمْيُ في أطرافِهِ
وعَلاَ رنينُ الإنتحارْ....

أوَ كُلَّمَا يَمَّمْتَ قلبَكَ
نحو بستانٍ
رماكَ بغدرِهِ؟
أوْ
كُلَّما أَشْهَرتَ شهوتكَ اليتيمةَ
حامَتِ العقبانُ
حولَ عظامِ ظِلِّكَ
واستَحَلْتَ إلى غُبَارْ؟

فَأَغِرْ على وكْرِ الصواعقِ خِلْسَةً،
كيلا تُلَمَّ الحَربُ عن أطرافها
أو كي تَذُبَّ النعشَ
عن صفصافةٍ غبراءَ
تعوي في العروقِ
لكي تلاحقَ خطوَكَ
المخفورَ بالشهداءِ
والمحفوفَ بالترحيلِ،
والترحيلِ
والدَّمِ
والبِحَارْ...
وَلْتَمْضِ
واعْلَمْ أنَّ قنَّاصاً سَيَنْبُتُ فجأةً
من أيِّ شيءٍ في طريقِكَ،
أنَّ عاصمةً ستذوي
إثْرَ عاصمةٍ وتهوي
من بريقِكَ،
أنَّ أسلحةً ستبزُغُ بغتةً
وستَقْتَفيكَ،
فكُنْ على حَذَرٍ إذَنْ،
سيُسَدِّدونَ عليكَ ليلاً
لا مثيلَ لهُ
فلا تسألْ: مَنِ افْتَرَسَ النَّهارْ؟

أَخْفِ الحدائقَ في عروقِكَ،
وانْتَضِ الشهداءَ
بَعْثِرْهُمْ سنابلَ في هزيعِ الكَوْنِ،
أطلقْهُمْ جداولَ في هشيمِ اللَّوْنِ،
وانْثُرْهُمْ بلابلَ
في سماواتِ الحِصَارْ....

نضجَتْ جراحُكَ في شروقِكَ
فاخلعِ الأضواءَ والأجراسَ
ضعها تحت إبْطِكَ وابْتَعِدْ.
عمَّا قليلٍ
سوف تحترقُ البحيرةُ
سوف يَنْدَرِسُ السّنُونو
سوف تنفجرُ الثِّمَارْ...

ولقد تَشَقَّقَتِ السماءُ
وسوف تسقطُ فابتَعِدْ.
ولقد تَصَدَّعَتِ الجبالُ
وسوف تنهارُ،
ابْتَعِدْ.
هذي شرانقُ من خَرَابٍ
أَوْصَدَتْ تاريخَنَا بخُيُوطِها
كي تنزعَ البابونَجَ السِّرِّيَّ
عن رئتيكَ في وَضَحِ الدَّمَارْ...
والقائمونَ على الخريفِ
يُمَشِّطُونَ النومَ بحثاً عنكَ،
سوف يُجَرِّدُونَكَ
من هوائِكَ عُنْوَةً،
وسيوقفونَكَ في مُحَاذاةِ الجِدَارْ...
ستَئِزُّ روحُكَ
مثلَ سَهْمٍ في الفَضَاءِ
وسوف تلمعُ كالمُذَنَّبِ،
فاتْلُ قبلتكَ الأخيرةَ
قبل أنْ يأتي التَتَارْ

اللاذقية